

تهذيب استنشاق نسيم الأنس
من نفحات رياض القدس

للحافظ ابن رجب

هذبها وخرج أحاديثها

عبدالله بن عايض بن أحمد القرني


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تهذيب استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس

للحافظ ابن رجب

هذبها وخرج أحاديثها

عبدالله بن عايض بن أحمد القرني



الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وبعد:

فقد ألف الحافظ الإمام العلامة زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي رسالة قيمة بعنوان (استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس) وموضوعها محبة الله عز وجل ومحبة رسوله وبيان الفرض والمندوب مع بيان علامات تلك المحبة وطرقها ولوازمها ومقتضياتها، فجاءت رسالة وافية بالمقصود جمع نصوصها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أعيان سلف الأمة كما يقول هو في مقدمة رسالته، وقد طبعت هذه الرسالة بمطبعة الإمام بمصر سنة (١٣٦٣) هجرية عدد صفحاتها (١١١) صفحة. فأحببت أن أختصرها لأسباب منها أن المؤلف رحمه الله تعالى استشهد بكثير من الأخبار الاسرائيلية وهي غير صحيحة.

ومنها استشهاده بحكايات ومنامات صوفية خيالية ومنها استشهاده بكثير من الأشعار الصوفية الغزلية التى لا تليق بموضوع الرسالة.

ومنها أنه لم يكتف بما صح من السنة فقد ذكر أحاديث غير صحيحة بعضها نبه عليه هو والبعض الآخر لم يعقب عليه بشيء.

فكان عملي في الاختصار كالآتى:

١ـ الاكتفاء بما في كتاب الله وسنة رسوله من الأحاديث الصحيحة. فلا أثبت في هذا المختصر من الأحاديث إلا ما كان صحيح السند أو حسناً حسب ما قرره أهل العلم بالحديث.

٢ـ أثبت من أقوال الصحابة والتابعين والسلف ما يتفق والموضوع.

٣ـ أحذف تلك الاسرائيليات والحكايات والمنامات الصوفية.

٤ـ أحذف كذلك الاشعار الصوفية والغزلية.

٥ـ أحذف الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي نبه عليها المؤلف أو التي سكت عنها واتضح لي أنها ضعيفة أو موضوعة.

٦ـ أثبتُ في هذا المختصر كلام المصنف رحمه الله تعالى كله لما فيه من الفائدة ولما عرف به من التحقيق فلم أتصرف في كلامه بشيء وإنما كان التصرف في حذف ما استشهد به وهو ما ذكرته سابقا.

٧ـ عزوت الآيات الى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٨ـ خرجت الأحاديث فعزوتها الى مصادرها من الأمهات وغيرها فإن كان الحديث في الصحيحين أو احدهما فأكتفي بذكر الكتاب والباب وإن كان في غير الصحيحين فإني إضافة إلى ذلك أذكر من صححه من الأئمة المعتبرين. فأصبح هذا المختصر ولله الحمد هو زبدة ما في تلك الرسالة في هذا الموضوع المهم، هذا وأسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه نافعا لي ولإخواني المسلمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان والحمد لله رب العالمين.

مقدمة المـؤلف

بســم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة الأوحد، شيخ الاسلام والسنة قامع البدعة بقية السلف الصالح، وعمدة الخلف، أبوالفرج عبدالرحمن بن الشيخ الامام القدوة أبي العباس أحمد بن رجب الحنبلي رضي الله عنه وجزاه عن الأمة خيراً:

الحمد لله الذي فتح على قلوب أحبابه من فيح محبته، فعبق فيهم نَشْرُهُ وفاح، وشرح صدور أوليائه بنور معرفته فأشرق عليهم نوره ولاح، أحياهم بين رجائه وخشيته وغذاهم بولايته ومحبته فلا تسأل عما هم فيه من السـرور والأفراح، فسبحان مَنْ ذِكره قوت القلوب وقرة العيون وسرور النفوس وروح الحياة وحياة الأرواح، وتبارك الذى من خشيته تتجافى عن المضاجع الجنوب وترجى رحمته وتتنفس عن نفوس الخائفين الكروب وبروح محبته تطمئن القلوب وترتاح، ما خابت الدنيا الا بذكره ومعرفته، ولا الآخرة الا بقربه ورؤيته، فلو احتجب عن أمل الجنة لاستغاث أهل الجنة في الجنة كما يستغيث أهل النار في النار وأعلنوا بالصياح، فكل قلوب تألهت سواه فهي فاسدة ليس لها صلاح، وكل صدور خلت من نصيبه وتقواه فهي ضعيفة ليس لها انشراح، وكل نفوس أعرضت عن ذكره فهي مظلمة الأرجـاء والنواح **«الله نور السموات والأرض مثل نوره**

كمشكاه فيها مصباح». (١)

أحمـده وَنَشْرُ ذكره كلما تيسر فاح، وأشكره ومزيده على الشاكرين يتجدد بالغدو والرواح. وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة استمدها سلاحاً على الأعداء فنعم الجُنَّة. (٢) ونعم السلاح. أستمدها مفتاحا لباب دار البقاء فما للجنة سواها مفتاح. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه مفصحاً بتوحيده أيّ افصاح موضحاً لعبيده سبيل الهدى كلُ الايضاح فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرّف بالله حتى ظهر توحيده في جميع النـواح ويخـوف بالله حتى لانت القلوب القاسية وصلحت كل الصلاح، ويذكر بآلاء الله حتى انشرحت القلوب بمحبته أعظم انشراح صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكون سببا للفلاح، فحيّ على الصلاة وحي على الفلاح.

أمـا بعـد: فإن الله تعـالى خلق الخلق وأوجدهم لعبادته الجامعة لخشيتـه ورجائه ومحبته كما قال تعالى «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون»(٣) وإنما يعبد سبحانه بعد العلم به ومعرفته، فلذلك خلق السموات والأرض وما فيهما للاستدلال بهما على توحيده وعظمته كما قال تعالى «الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما»(٤) وقد عُلم أن العبادة إنما تنبني على ثلاثة أصول:

---

(١) سورة النور آية (٣٥).

(٢) الجنة: بضم الجيم وتشديد النون الوقاية.

(٣) الذاريات الآية (٥٦)

(٤) سورة الطلاق آية (١٢)

الخوف والرجاء والمحبة: وكل منها فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، فلهذا كان السلف يذمون من تَعَبَّدَ بواحدٍ منها وأهمل الآخريْن، فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن المحبة والرجاء، وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف، وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن يُنسب إلى التعبد نشأت من إفراد المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء.

وقد كثر في المتأخرين المنتسبين الى السلوك تجريد الكلام في المحبة وتوسيع القول فيها بما لا يساوي على الحقيقة مثقال حبة، إذ هو عارٍ عن الاستدلال بالكتاب والسنة وخالٍ من ذكر كلام مَنْ سلف من سلف الأمة وأعيان الأئمة، وإنما هو مجرد دعاوى قد تُشرِفُ بأصحابها على مهاوي، وربما استشهدوا بأشعار عشاق الصور، وفى ذلك ما فيه من عظيم الخطر، وقد يحكون حكايات العشاق ويشيرون الى التأدب بما سلكوه من الآداب والأخلاق وكل هذا ضرره عظيم، وخطره جسيم، وقد يُكثر ذكر المحبة ويعيدها ويبديها مَنْ هو بعيد عن التلبس بمقدماتها ومباديها، وما أحسن قول ذي النون رحمه الله تعالى وقد ذكر عنده الكلام في المحبة فقال: اسكتوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها، فإن النفوس ممتلئة من الكبر والفخر والغرور، والمتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبيْ(١) زور، وكثير ما تقترن دعوى

---

(١) هذا لفظ حديث اخرجه الشيخان وغيرهما من حديث اسماء بنت ابي بكر، ومسلم عن عائشة.

المحبة بالشطح والإدلال وما ينافي العبودية من الأقوال والأفعال. وقد استخرت الله تعالى في جمع ما ورد في الكتاب والسنة وكلام أعيان سلف الأمة ومن سلك سبيلهم من العارفين الأئمة في محبة الله جل وعلا، وعلاماتها وطرقها ولوازمها ومقتضياتها وإن كنت لا استقصي ذلك كله فإنه يطول جداً، وإنمكا أذكر منه أبواباً أعدها عداً وهي اثنا عشر بابا.(١)

الباب الأول: في لزوم محبة الملك القدوس وتقديمها على الأموال والأولاد والنفوس.

الباب الثاني: في بيان أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله محبته على أكمل الوجوه وأتمها.

الباب الثالث: في بيان الأسباب التي تستجلب بها محبة رب الأرباب.

الباب الرابع: في علامات المحبة الصادقة من التزام طاعة الله والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتباع رسوله.

الباب الخامس(١): في استلذاذ المحبين بكلام محبوبهم وأنه غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم.

الباب السادس: في أنس المحبين با لله وأنه ليس لهم مقصود من الدنيا والآخرة سواه.

---

(١) وقد اقتصرت منها على ثمانية أبواب، وحذفت ما عدا ذلك لعدم وجود الفائدة المطلوبة على حسب علمي والله اعلم.

(١) هذا من الأبواب المحذوفة من هذا المختصر

الباب السابع(٢): في سهر المحبين وخلواتهم بمناجاة مولاهم الملك الحق المبين.

الباب الثامن(٣): في شوق المحبين إلى لقاء رب العالمين.

الباب التاسع(٤): في رضا المحبين بمر الأقدار وتنعمهم ببلاء من يخلق ما يشاء ويختار.

الباب العاشر: في ذكر خوف المحبين العارفين وفضله على خوف سائر الخائفين.

الباب الحادي عشر: في شرف أهل الحب وأن لهم عند الله أعلا منازل القرب.

الباب الثاني عشر: في نُبَذ من كلام أهل المحبة وتحقيقهم تقوى به القلوب على سلوك طريقهم.

وسميته: استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(٢) و (٣) و (٤) هذه من الأبواب المحذوفة من المختصر

الباب الأول
في لزوم محبة الملك القدوس وتقديمها على حب الأموال والأولاد والنفوس

قال الله تعالى ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾(١) .

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» . (٢)

وفي الصحيحين (٣) أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي . فقال: لا

---

(١) سورة التوبة آية (٢٤).

(٢) حديث أنس أخرجه البخاري في الايمان. باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايمان. ومسلم فيه. حديث رقم (٤٤) لكن ليس فيه ذكر القسم وقد روى البخاري في الباب من حديث أبي هريرة بلفظ «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» قال الحافظ وهو من أفراد البخاري عن مسلم.

(٣) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالله بن هشام. ولم أجده في مسلم.

يا عمر حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك. فقال والله لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال: الآن يا عمر.

ومعلوم أن محبة الرسول إنما هي تابعة لمحبة الله جلّ وعلا فإن الرسول إنما يُحب موافقة لمحبة الله له ولأمر الله بمحبته وطاعته واتباعه، فإذا كان لا يحصل الإيمان إلا بتقديم محبته على الأنفس والأولاد والآباء والخلق كلهم، فما الظن بمحبة الله عز وجل؟

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم تقديم محبة الله ورسوله على محبة غيرهما من خصال الإيمان ومن علامات وجود حلاوة الإيمان في القلوب ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذْ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلقى في النار»(١)

وفي رواية النسائي(٢) «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وطعمه، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب في الله ويبغض في الله، وأن توقد نارٌ فيقعَ فيها أحب إليه من أنْ يُشرك بالله شيئاً».

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي رَزِين العُقَيْلي رضي الله عنه قال:

---

(١) اخرجه البخاري في الإيمان. باب حلاوة الإيمان. ومسلم في الإيمان باب بيان خصال الإيمان حديث رقم (٤٣).

(٢) أخرجه النسائي كما قال المصنف في الإيمان باب حلاوة الإيمان (٨/٥٦).

قلت: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحبُّ إليك مما سواها، وأن تُحَرَّقَ في النار أحبُّ إليك من أن تشرك بالله، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله، فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ»(١)

(١) أخرجه الامام احمد فى المسند (١١/٤) وأوله قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف يحي الله الموتى؟ قال: أمررتَ بأرضٍ من أرضك مجدبة ثم مررت بها مخصبة؟ قال: نعم قال: كذلك النشور، قال: يارسول الله ما الإيمان قال: أن تشهد أن لا إله الا الله. الحديث. وفي آخره: قلت: يارسول الله كيف لي بأن أعلم أني مؤمن؟ قال: (ما من أمتي - أو هذه الأمة عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله عز وجل جازيه بها خيراً ولا يعمل سيئة ويستغفر الله عز وجل منها ويعلم أنه يغفر إلا وهو مؤمن».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد وفى اسناده سليمان بن موسى وقد وثقه ابن معين وأبوحاتم وضعفه آخرون.

وسليمان بن موسى الاشدق. أخرج له مسلم في مقدمة صحيحه ووثقه ايضا ابن عدي والدار قطني. وقال البخاري عنده مناكير وقال النسائي ليس بالقوى في الحديث. وقبول حديثه هو الذ ى ينبغي لتوثيق من وثقه وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية: كفى بابن معين موثقا. لهذا أوردت حديثه في هذا المختصر والله الموفق.

وأبورزين - بفتح الراء المهملة وكسر الزاي الموحدة وإسكان الياء. وقال في الإصابة (بوزن عظيم) اسمه لقيط بن عامر. صحابي انظر تصحيفات المحدثين القسم الثاني ص ٥٦٣ للعسكري وانظر الاصابة.

فصــــل

ومحبة الله سبحانه وتعالى على درجتين: إحداهما فرض لازم وهي: أن يُحِبَّ الله سبحانه وتعالى محبةً توجب له محبة ما فرضه الله عليه وبُغض ما حرمه عليه، ومحبةً لرسوله المبلغ عنه أمره ونهيه وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضاً كما سبق، والرضا بما بلَّغهُ عن الله من الدِّين وتلقي ذلك بالرضى والتسليم، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان جملةً وعموماً لله عز وجل. وبغض الكفار والفجار جملةً وعموماً لله عز وجل. وهذا القدر لابد منه في تمام الايمان الواجب، ومن أخلَّ بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك قال الله عز وجل ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾(١) وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك، فإن المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات.

قال أحد السلف: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده. وقال آخر: كل من ادعى محبة الله جل جلاله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور.

وقد تقدم أن العبد لا يجد حلاوة الإيمان حتى يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله وحتى يكره أن يرجع إلى الكفر كما يكره أن يلقى فى النار ولهذا

---

(١) الآية رقم (٦٥) من سورة النساء.

المعنى كان الحب في الله والبغض في الله من أصول الإيمان. وخرج الترمذي من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد استكمل إيمانه» وخرجه الإمام أحمد: وزاد فيه (وأنكح لله)(١)

وخرج أبوداود من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»(٢).

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة(٣) فلا يكمل التوحيد الواجب إلا بمحبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله، وكذلك لا يتم الإيمان الواجب إلا بذلك.

ومن هنا يُعلم أن الإخلال ببعض الواجبات وارتكاب بعض المحرمات يَنْقُصُ به الإيمانُ الواجبُ بحسب ذلك، كما قال النبي صلى الله عليه

---

(١) أخرجه الترمذي كما قال المصنف رحمه الله تعالى في صفة القيامة باب رقم (٦٠) حديث رقم (٢٥٢١) وقال حسن. وهو في المسند كما قال أيضا (٣/٤٤٠) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/١٦٤) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وفيه الزيادة المذكورة. والحديث له شاهد من حديث أبي أمامة هو المذكور بعده.

(٢) أخرجه أبوداود (في كتاب السنة. باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه حديث رقم (٤٦٨١) وسنده حسن. وتقدم له شاهد من حديث معاذ الجهني.

(٣) انظر مجمع الزوائد (١/٨٩).

وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث. (١)

فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم، وهي درجة المقتصدين أصحاب اليمين.

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين أن ترتقي المحبة الى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب، وهذا فضل مستحب مندوب إليه. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل:

«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» (٢).

---

(١) تمامه (ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) أخرجه البخاري في المظالم وفي الاشربة في أوله. وفي الحدود ومسلم في الايمان رقم (٥٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الرقاق. باب التواضع وهو من الأحاديث القدسية. انظر لشرح هذا الحديث فتح الباري (١١/٣٤٠) السلفية وقد شرحه المصنف في كتابه جامع العلوم والحكم الحديث رقم (٣٨).

وقد تبين بما ذكرناه أن محبة الله إذا صدقت أوجبت محبة طاعته وامتثالها، وبغض معصيته واجتنابها، وقد يقع المحب أحياناً في تفريطٍ في بعض المأمورات وارتكابٍ لبعض المحظورات ثم يرجع على نفسه بالملامة وينزع عن ذلك ويتداركه بالتوبة.

وفي صحيح البخاري أن رجلا كان يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد شرب الخمر فقال رجل: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»(١).

والمراد أن الله تعالى إذا أحب عبداً وقدر عليه بعض الذنوب فإنه يقدر له الخلاص منها بما يمحوها من توبة أو عملٍ صالح أو مصائب مكفرة كما في الحديث(٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أذنب عبدٌ ذنبا فقال: أيْ ربي عملت ذنبا فاغفر لي ـ فذكر الحديث إلى أن قال: فليعمل ما شاء والمراد ما دام على هذا كلما عمل ذنبا اعترف به وندم عليه واستغفر منه فأما مع الإصرار عليه فلا. وكذلك المحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب وعدم الاستحياء من علام الغيوب وما أحسن قول بعضهم:

تعص الإله وأنت تزعم حبه   هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

---

(١) أخرجه البخاري في الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر انظر الفتح (١٢/٧٥-٨٠)

(٢) أخرجه البخاري فى التوحيد. باب قول الله تعالى «يريدون أن يبدلوا كلام الله» ومسلم في التوبة باب قبول التوبة من الذنوب حديث رقم (٢٧٥٨) عن أبي هريرة.

الباب الثاني

في بيان أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله تعالى محبته على أكمل الوجوه وأتمها

روى معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أتاني ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة - يعني في المنام - فذكر الحديث وقال في آخره (قال سل: قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون، وأسألك حُبَّك وحُب من يُحبك وحُب كلٍّ عمل يقربني إلى حبك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنها حق فادرسوها وتعلموها».

خرجه الإمام أحمد(١) والترمذي وقال: حسن صحيح. وخرجه

---

(١) حديث معاذ أخرجه الامام احمد في المسند (٥/٢٤٣) والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن - سورة (ص) حديث رقم (٣٢٣٥) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح - سألت محمد بن اسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.

وهو حديث طويل فيه جمل مفيدة أفرده المصنف الحافظ بن رجب برسالة شرحه فيها شرحا مفيدا جدا اسمها (اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الاعلى). =

الحاكم وقال صحيح الاسناد.

وفي بعض الروايات: وحُبَّ عمل يبلغني حُبَّك.

وصح من رواية نافع عن ابن عمر أنه كان يدعو على الصفا والمروة وفي مناسكه فيقول في دعائه: اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ويحب رسلك ويحب عبادك الصالحين، اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين) في دعاء له كثير.

=وقد روى الحديث ابنُ عباس رضي الله عنهما أخرجه الامام احمد في المسند حديث رقم (٣٤٨٤) والترمذي برقم (٣٢٣٣) وصححه احمد شاكر رحمه الله وقد روى الحديث عن عدة من الصحابة لكنها بأسانيد ضعيفة ولم يصح منها الا حديث معاذ وحديث ابن عباس والله أعلم انظر مجمع الزوائد (١٧٦/٧) وما بعدها.

الباب الثالث

في بيان الاسباب التي تستجلب بها محبة رب الأرباب

فمن ذلك معرفة نعمة الله على عباده، وقد جبلت القلوب على حب مَنْ أحسن إليها. وهذا الكلام مروي عن ابن مسعود وروي عنه مرفوعا ولا يصح.

ويروى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي» وهذا الحديث موجود في بعض نسخ كتاب الترمذي.(١) والحب على النعم من جملة شكر المنعم وهو واجب على من أُنعم عليه، ولهذا يقال: إن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

ومن الأسباب أيضا: معرفة الله تعالى. قال بُديل(٢) بن ميسرة: مَنْ عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها، خرجه الامام أحمد وغيره.

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب. باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. حديث رقم (٣٧٨٩) قال الترمذي: حسن غريب. ورواه الحاكم (٣/١٥٠) وصححه ووافقه الذهبي مع أن فى سنده عبدالله بن سليمان النوفلي. قال الحافظ فى التقريب: مقبول ـ يعني عند المتابعة والا فلين الحديث.

(٢) بُديل: مصغراً العُقيلى ـ بضم العين ـ ابن ميسرة ثقة من رجال مسلم.

ومن أعظم أسباب المعرفة الخاصة: التفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء. وفي القرآن شيء كثير من التذكير بآيات الله الدالة على عظمته وقدرته وجلاله وكماله وكبريائه ورأفته ورحمته وبطشه وقهره وانتقامه الى غير ذلك من صفاته العلى وأسمائه الحسنى والندب إلى التفكر في مصنوعاته الدالة على كماله، فإن القلوب مفطورةٌ على محبة الكمال، ولا كمال على الحقيقة إلا له سبحانه وتعالى، ولهذا كان السلف يفضلون التفكر على نوافل البدن. فكلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته له ومحبته لطاعته وحصلت له لذة العبادة من الذكر وغيره على قدر ذلك.

فصـــل

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل معاملة الله بالصدق والإخلاص ومخالفة الهوى فإن ذلك سبب لفضل الله على عبده وأن يمنحه محبته.

ومن أعظم ما تستجلب به المحبة كثرة الذكر مع الحضور.

ومما يستجلب به المحبة تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ولا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله، ومحبة الله له.

وفي الصحيحين(١) عن أنس أن رجلا كان يصلي بهم ويختم قراءته بقل هو الله أحد. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسئل عن ذلك، فقال إنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخبروه أن الله يحبه».

ومن أسباب المحبة تذكر ما ورد فى الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد فإن ذلك تستجلب به المحبة الخالصة.

---

(١) حديث أنس اخرجه البخاري تعليقا مجزوماً به فى كتاب الصلاة. باب الجمع بين السورتين فى الركعة. ولم اجده عند مسلم من حديث أنس. وفيه أنه سئل فقال اني أحبها فقال النبي صلى الله عليه وسلم «حبك إياها أدخلك الجنة» أما قوله (أخبروه أن الله يحبه). فهو من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري في أول كتاب التوحيد. ومسلم في صلاة المسافرين باب فضل قراءة قل هو الله أحد. حديث رقم (٨١٣) انظر الفتح (٢/٢٥٥) و (١٣/٣٤٧).

الباب الرابع
في علامات المحبة الصادقة

من التزام طاعة الله تعالى والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة فى ذلك واتباع رسوله. قال الله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**﴾(١) وقال تعالى ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**﴾(٢).

فوصف الله سبحانه المحبين له بخمسة أوصاف:

أحدها: الذلة على المؤمنين والمراد لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين كما قال تعالى لرسوله ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾(٣) ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾(٤) **وهذا** يرجع إلى أن المحبين يحبون أحبابه ويعودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة. وقد سبق في الباب الأول بيان ذلك.

---

(١) المائدة آية (٥٤)　　(٢) آل عمران آية (٣١)

(٣) الشعراء آية (٢١٥)　　(٤) سورة الفتح آية (٢٩)

الثاني: العزة على الكافرين، والمراد الشدة والغلظة عليهم كما قال تعالى ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾(١) وهذا يرجع الى أن المحبين له يبغضون أعداءه، وذلك من لوازم المحبة الصادقة كما سبق تقريره أيضاً.

الثالث: الجهاد في سبيل الله.

وهو مجاهدة أعدائه باليد واللسان وذلك أيضا من تمام معاداة أعداء الله الذي تستلزمه المحبة. وأيضا فالجهاد فى سبيل الله فيه دعاء الخلق إلى الله وردهم إلى بابه بالقهر لهم والغلبة كما قال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(٢) الآية. قال مجاهد وغيره: يعنى كنتم خير الناس للناس، فخير الناس للناس أنفعهم لهم، ولا نفع أعظم من الدعاء إلى التوحيد والطاعة والنهي عن الشرك والمعصية. وسئل الحسن عن رجل له أم فاجرة فقال: (يقيدها فما وصلها بشيء أعظم من أن يكفها عن معاصي الله تعالى) لا يكون المؤمن مؤمناً حقا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه.

الرابع: أنهم لا يخافون لومة لائم، والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضى به من الأعمال ولا يبالون بلومة من لامهم في شيء منه إذا كان فيه رضا ربهم. وهذا من علامة المحبة الصادقة، أن المحب يشتغل بما يرضى به حبيبه ومولاه ويستوى عنده من حمده في ذلك أو لامه.

---

(١) التوبة آية (٧٣)　　(٢) آل عمران آية (١١٠)

الخامس: متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو طاعته واتباعه في أمره ونهيه. والمراد أن الله تعالى لا توصل إليه إلا عن طريق رسوله صلى الله عليه وسلم باتباعه وطاعته. كما قال أحد السلف: الطرق إلى الله مسدودة إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم على درجتين: احداهما فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية فضلٌ، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره، وكثرة الصلاة عليه لما سكن في القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره ومحبة استماع كلامه وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين.

ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة.

الباب الخامس
في أنس المحبين بالله

ثبت في الصحيحين(١) وغيرهما أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال النبي صلى الله عليه وسلم «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». (١)

ويتولد من ذلك الأنس بالله والخلوة لمناجاته وذكره واستثقال ما يشغل عنه من مخالطة الناس والاشتغال بهم وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن أحدكم إذا كان يصلي فإنما يناجي ربه أو ربه بينه وبين القبلة». (٢)

وأنه قال: «إن الله قبل وجهه إذا صلى»(٣)

---

(١) اخرجه البخاري من حديث ابي هريرة في الايمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فيه ايضا باب الاسلام والايمان والاحسان. وأخرجه مسلم من حديث عمر رضي الله عنه وهو قطعة من حديث طويل مشهور، انظر ألفاظه في جامع الاصول (١/٢٠٨-٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري في المساجد. باب حك البزاق باليد من المسجد، وباب لا يبصق عن يمينه في الصلاة. ومسلم في المساجد حديث رقم (٥٥١) من حديث انس رضي الله عنه.

(٣) اخرجه البخاري في المساجد الباب السابق، ومسلم حديث رقم (٥٤٨) عن ابن عمر وانظر الفاظ هذين الحديثين في جامع الاصول (١١-١٩٠) وما بعدها.

وفي حديث الحارث الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن الله تعالى ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت»(١)

وفي حديث أبي هريرة وأبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله عز وجل أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بى شفتاه»(٢) وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاءٍ ذكرته في ملاءٍ خيرٍ منهم وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعا وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(٣).

ومن الأنس بالله عز وجل الأنس بكلامه وذكره والأنس بالعلم النافع الذي بلغه رسوله صلى الله عليه وسلم عنه.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الامثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة حديث رقم (٢٨٦٣) قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه الامام احمد في المسند (٤/٢٠٢) وابن خزيمة وابن حبان والحديث طويل مشهور هذه قطعة منه وهو صحيح الاسناد.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً مجزوما به في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿لا تحرك به لسانك﴾ (١٣/٤٩٩) الفتح من حديث أبي هريرة وهو في المسند مسنداً (٢/٥٤٠) وأخرجه الحاكم (١/٤٩٦) من حديث ابي الدرداء وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ومسلم في الذكر والدعاء حديث رقم (٢٦٧٥).

الباب السـادس
في شوق المحبين إلى لقاء رب العالمين

الشوق إلى لقاء الله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة المحبة لله عز وجل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله هذه الدرجة خرجه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث عمار بن ياسر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر الى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»(١).

---

(١) خرجه الامام احمد كما قال المصنف رحمه الله تعالى (٤/ ٤ ٢٦) وفي اسناده شريك القاضي وهو صدوق يخطىء كثيرا. واخرجه النسائي في الدعاء بعد الذكر باب نوع آخر (٣/ ٥٤) والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٤) من طريق أخرى عن عمار ايضا وفي اسناده عطاء بن السائب. وهو صدوق اختلط. قلت: لكن الراوي عنه في هذا الحديث حماد ـ وسواء أكان ابن زيد أو ابن سلمة فهما ممن سمع منه قبل الاختلاط. انظر تهذيب التهذيب. ولهذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وخرج الطبراني نحوه من حديث فضالة بن عبيد عن النبي **صلى الله عليه وسلم**. (١)

وإنما قال من غير ضراء مضرة **ولا فتنة مضلة والله أعلم، لأن محبة** لقاء الله وهو محبة الموت تصدر غالبا إما من ضراء، وهي ضراء الدنيا وقد نهي عن تمني الموت حينئذٍ، وإما من فتنةٍ مصلة **وهي خشية الفتنة** في الدين وهو غير منهي عنه في هذا الحال.

والمسئول ها هنا الشوق إلى لقاء الله غير الناشىء عن هذين الأمرين، بل من محض المحبة. وقد دل قوله تعالى في حق اليهود **﴿قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾(٢)** على أن ما كان على حالةٍ حسنة من الاستعداد للقاء الله فإنه يتمنى لقاء الله ويحبه وأنه لا يكره ذلك إلا من هو مريب في أمره. ولهذا قال تعالى **﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾** ثم قال تعالى: **﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لويعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾** فذمهم على حرصهم على الحياة الدنيا.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٧٧) رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجالهما ثقات.

(٢) البقرة آية (٩٤).

(٣) البقرة آية (٩٦)

الباب السابع
في ذكر خوف المحبين وفضله على خوف سائر الخائفين

قال الله تعالى في حق الفجار ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾ (١) فوصفهم بأن كسبهم ران على قلوبهم، والران: هو ما يعلو على القلب من الذنوب من ظلمة المعاصي وقسوتها، ثم ذكر جزاءهم على ذلك وهو ثلاثة أنواع: الحجاب عن ربهم، ثم صلى الجحيم، ثم التوبيخ، فأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن ربهم عز وجل، ولما كانت قلوبهم في الدنيا مظلمة قاسية لا يصل إليها شيء من نور الإيمان وحقائق العرفان كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم عن رؤية الرحمن.

فخوف العارفين في الدنيا من احتجابه عن بصائرهم، وفي الآخرة من احتجابه عن أبصارهم ونواظرهم.

وكتب الأوزاعي إلى أخٍ له. أما بعد: فإنه قد أُحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام.

---

(١) المطففين آية (١٥)

الباب الثامن

في شرف أهل الحب وأن لهم عند الله اعلا منازل القرب

في الصحيحين(١) عن أنس رضي الله عنه، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنت مع من أحببت» وفي روايه للبخاري «فقلنا ونحن كذلك؟ قال: نعم» قال أنس ففرحنا يومئذٍ فرحاً شديداً.

وفي رواية لمسلم: قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قوله «أنت مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وأبابكر وعمر وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم. قال بعضهم «يكفي للمحبين شرفاً هذه المعية».

---

(١) اخرجه البخاري في الأدب من صحيحه، باب علامة الحب في الله. ومسلم في البر والصلح. باب المرء مع من أحب حديث رقم (٢٦٣٩).

وقد قدمنا في أول هذا الكتاب: أن محبة الله الواجبة تستلزم امتثال طاعته واجتناب معصيته، وكذلك محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

فالمحبة الصحيحة لهم تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم، وإن عجز عن بلوغ غايته. كما قال أنس رضي الله عنه ولهذا قال السائل للنبي صلى الله عليه وسلم «ما أعددتُ لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة» فدل على أنه قد أتى من ذلك بما وجب عليه، ولم يأت بأزيد من ذلك. قال الحسن: ابن آدم لا تغتر بقول من يقول: المرء مع من أحب، إنه من أحب قوماً اتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم وتأخذ بهديهم وتقتدي بسنتهم وتصبح وتمسي وأنت على منهاجهم حريصاً على أن تكون منهم فتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم وإن كنت مقصراً في العمل فإنما ملاك الأمر أن تكون على استقامة، أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء المردية يحبون أنبياءهم وليسوا معهم لأنهم خالفوهم في القول والعمل وسلوك غير طريقهم فصار موردهم النار نعوذ بالله من ذلك.

انتهى والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة. وأساله تعالى أن ينفع به من شاء من عباده وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبومحمد عبدالله بن عايض القرني
تم الاختصار بتاريخ ١٤٠٧/٥/٣هـ

الفهـــرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com